«كان يا مكان في دنيا الصحة والأمان»

حكايات وقصص من طفل إلى طفل (٢٢)

عادات سيئة

(حكاية طاهر)



ورشة الموارد العربية

التدخين وعادات سيئة



راجعوا أيضاً الأنشطة في نهاية القصة.

حكايات وقصص من طفل إلى طفل

١– مغامرات موسى في النهر (نافد): مخاطر المياه القذرة والمياه الراكدة
٢– أخي الصغير يمشي: طفل يعلم أخاه ويساهم في نموه
٣– الشجعان الثلاثة: ثلاثة أطفال معوقين يساعدهم أصدقاءهم على التكيف
٤– هزيمة العصابة (نافد): دور التطعيم في حماية الأطفال من الأمراض والموت
٥– المرشدة نور (نافد): مخاطر الالتهاب الرئوي والحمى
٦– ثراب الحياة: قصة عن الإسهال والجفاف ودور الثراب البسيط في الحماية منهما
٧– الفيلان الخمسة: خطر الذباب
٨– حارس المرمى: أهمية الغذاء الجيد
٩– الملك العجوز وخطيبة ابنه الصغيرة: تغذية الرضّع
١٠– فاتن لم تعد حزينة: اللقاحات
١١– انتقام الأرنب: نظافة الآبار
١٢– متاعب الست سرحانة: التربية الجنسية
١٣– جبل الأقزام: نقص اليود
١٤– أبطال الكوليرا: دور الأطفال في مواجهة الكوليرا
١٥– العائلة هاها: الحوادث المنزلية
١٦– الشاب والتنين: الديدان الطفيلية
١٧– العم جميل والصغيرة رانية: حماية الأطفال
١٨– "يسقط السوس": رعاية الأسنان
١٩– سارة الذكية: الاسهال والجفاف
٢٠– هجوم: في بناء الصحة والمحافظة عليها
٢١– الشعر الأحمر المستعار: القمل
٢٢– عادات سيئة: حكاية طاهر
٢٣– الضبع وعينا الدجاجة: الفيتامين أ
٢٤– حمّى الأسد: ضربة الشمس

Arab Resource Collective, 2007. tel.: (+9611) 742075
E-mail: arcleb@mawared.org, www.mawared.org

«كان يا مكان في دنيا الصحة والأمان»

حكايات وقصص من طفل إلى طفل (٢٢)

عادات سيئة

(حكاية طاهر)



الكاتب: هْيُو هُوَز

الرسوم:

ترجمة:

فريق عمل الطبعة العربية: غانم بيبي، دوللي جعلوك، هبه القاضي

التنفيذ الفني: عمر حرقوص

ورشة الموارد العربية

ورشة الموارد العربية، ٢٠٠٧، يمكن تنزيل النص عن الموقع: www.mawared.org
Arab Resource Collective, 2007. tel.: (+9611) 742075
E-mail: arcleb@mawared.org, www.mawared.org

• عادات سيئة،حكاية طاهر
• الطبعة العربية الأولى، ٢٠٠٧
• الناشر: ورشة الموارد العربية، ص.ب. ٥٩١٦-١٣ (شوران)
بيروت – لبنان، الهاتف: ٧٤٢٠٧٥ (٩٦١١+) الفاكس: ٧٤٢٠٧٧ (٩٦١١+)
البريد الالكتروني: arcleb@mawared.org الموقع: www.mawared.org

• **القصة الأصلية:**

• **Deadly Habits: The Story of Innocent, by Hugh Hawes, Longman 1989**
Published in Arabic by the Arab Resource Collective, ARC
P.O.Box: 13-5916, Tel: (+9611) 742075, Fax: (+9611) 742077
Email: arcleb@mawared.org, Website: www.mawared.org

• حكايات وقصص «من طفل إلى طفل»

تم تطوير سلسلة حكايات وقصص «من طفل إلى طفل» من أجل تشجيع تلامذة المدارس الابتدائية على الاهتمام بصحتهم وصحة الأطفال الآخرين. وضع أساس كل قصة من القصص تربوي مجرّب وراجعها فريق من الأطباء والمتخصصين.

يمكن استخدام هذه القصص في مناهج تدريس مبادئ العلوم والبيئة، والصحة المنزلية والمدرسية، والتدبير المنزلي وبرامج المجتمع.

• من طفل إلى طفل:

يشجّع نهج «من طفل إلى طفل» الأطفال والشباب ويمكّنهم من تعزيز صحتهم وصحة الآخرين من حولهم. المشاركة في أنشطة من طفل إلى طفل تنمّي شخصية الأطفال من النواحي الاجتماعية والعاطفية والأخلاقية والفكرية. نهج من طفل إلى طفل عملية تربوية تربط بين تعلّم الأطفال وبين المبادرة العملية لتعزيز الصحة والرفاه والتنمية لأنفسهم، ولأهلهم ومجتمعاتهم.

يوفر نهج من طفل إلى طفل طريقة عملية تمكّن من تطبيق حقوق الأطفال تطبيقًا فعالاً. «نحن نؤمن بحق الطفل ومسؤوليته في المشاركة وفي الصحة والتعليم كما بحقه في اللعب والترفيه».

• ورشة الموارد العربية:

ورشة الموارد العربية مؤسسة عربية مستقلة لا تتوخى الربح التجاري، هدفها إعداد ونشر وتوزيع المواد التعليمية اللازمة في مشاريع الرعاية الصحية والتربية وتنمية المجتمع والموارد البشرية، وتطوير التواصل بين العاملين في هذه الميادين في البلدان العربية.

أطلب أيضاً:
«كيف تستعمل قصص من طفل إلى طفل» من ورشة الموارد العربية www.mawared.org

الفصل الأول

كانت أمي تدعوه طاهر، لكنه لم يكن كذلك. وطاهر هذا صديق أخي. لكن أخي يحتاج إليه بقدر ما يحتاج إلى إصابته بإسهالٍ حاد. أخي اسمه سامي، وهو في الثالثة عشرة من عمره. ابتدأ الشعر ينمو على ساقيه. وأخي هذا يصدق كل ما يقال له. فهو يصدق الناس والصحف وحتى الإعلانات.



يشتري أخي دائماً ما تحثُّه الإعلانات على شرائه. فيشتري الثياب الجديدة حين لا يحتاج إليها، ويشتري الصابون الفاخر لأن الإعلان يقول أنه يجعل وجهه جميلاً، ويشتري الأدوية التي يظن أنها تنعّم جلده.

يقول لي: «يوسف، أنت ما تزال في الحادية عشرة من عمرك، أي في المرحلة الابتدائية أما أنا ففي مرحلتي الثانوية. وطلاب المرحلة الثانوية، مثلي يفهمون معنى الحياة. نحن نتحول إلى رجال ... إلى رجالٍ حقيقيين».

سألته: «إلى رجلٍ مثل طاهر؟»

أجابني سامي: «نعم مثل طاهر».

دعوني أخبركم عن طاهر. أنه في السادسة عشرة من عمره، لكنه يبدو أكبر سناً. يرتدي دائماً الثياب الجديدة وينتقيها من الطراز الأحدث. يغيّر تسريحة شعره كل أسبوع، وتجد حذاءَه لامعاً كالشمس. حول عُنُقِه، يضعُ سلسلةً كبيرة.

وطاهرُ هذا يدخن كثيراً، فرائحة الدخان دائمة الالتصاق بثيابه وبشعره، وأصابعُه صفراءَ اللون. تراه يدخّن بطريقةٍ أنيقةٍ، ببطئ شديدٍ ومن غير مبالاة.

يتحدث بتمهلٍ وينفخ دخانه بين جملةٍ وأخرى.
يقول طاهر: «خلّيك رايق!»، وينفخ الدخان من فمه، مشكلاً
الدوائر الدخانية الكبيرة في الهواء ويضيف: «رايق عالآخر».
ويشهق ويزفر مزيداً من الدخان ومزيداً من الدوائر.

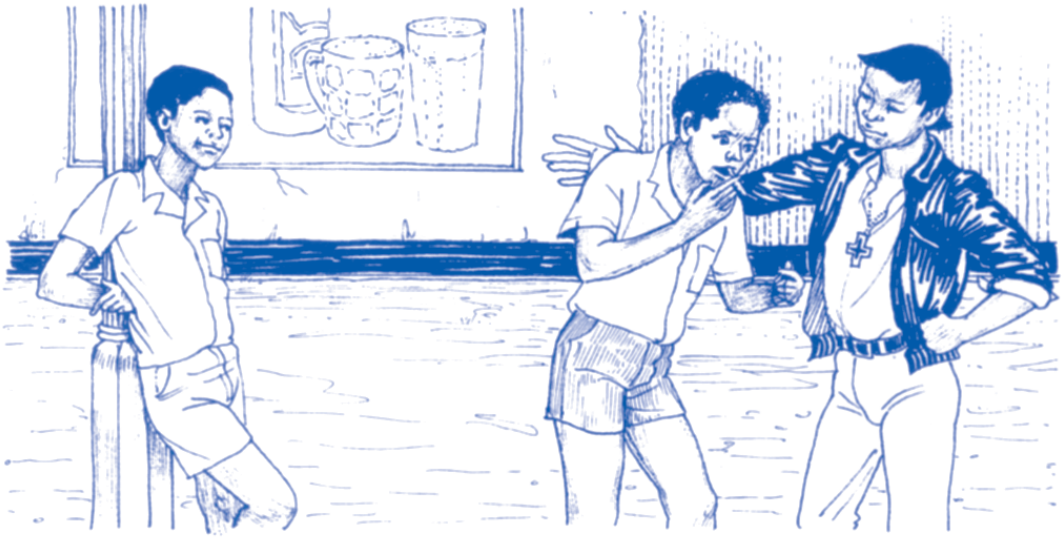


سامي معجبٌ دائمٌ بطريقة طاهر في التدخين، إذ تجعله يبدو
مهماً. في بعض الأحيان، يُقدِّمُ طاهر إلى سامي لفافة تبغٍ، ويحملُ
الكثير منها.

سألتُ طاهر: هل تملك معملاً للتبغ؟»

أجابني: «كأني ملكي».

يحاول سامي التدخين على طريقة طاهر، ويجتهد في محاولاته لتشكيل دوائر الدخان، فلا ينجح، ويبدو دائماً وكأن السيجارة سوف تعضّه. لا أستغربُ ذلك لأنه لا يحب طعم الدخان. فالدخان يجعله يسعل. ذات مرّة تنشّق الكثير منه ومرض.



يهزأ به طاهرُ ويقول: «خلّيك رايق!».

لكن سامي لا يبدو سعيد أبداً.

ذات يوم، أعطى والدنا سامي مالاً لشراء الكتب المدرسية، فصرفها في شراء السجائر.

حين عاد إلى المنزل، سأله أبي: «سامي، أين كتبك»؟

وقف سامي لا يتكلم.

صاح به أبي: «أين كتبُك يا سامي»؟

وابتدأ سامي قصةً طويلةً. «...وحين كنت عائداً إلى المنزل، جاءت معزاة..»

وقف أبي وتوجّه نحوه، فتوقفت قصته في منتصفها.

لن أخبرُكم بما حصل، لكنّي أعتقد أن سامي لن ينسى هذه الحادثة. وفيما بعد، سألته:

«لماذا تشتري التبغ وتدخنه إنْ كنت لا تحبُّه؟».

فأجاب: «أسكت يا يوسف. فأنت بعدُ في الحادية عشرة، ولا تعي ما يفعله الرجال. فالرجال الحقيقيون يدخنون، ورعاة البقر وسائقو سيارات السباق يدخنون أيضاً. لقد رأيتهم في الإعلانات ... وطاهر أيضاً يدخن».

سألته: «وهل يدخن لاعبو كرة القدم المحترفون»؟

أجابني: «كلهم يدخنون، مثل البراكين الثائرة. طاهر أخبرني بذلك؟»

فقلت له: «العم عبده لاعب كرة قدم. فلنسأله!».

لاحظت العم عبده آتياً من بعيد، مرتدياً ثياب الرياضة الزرقاء، ويبدو فيها رشيقاً للغاية، وعليه أن يكون كذلك، فهو لاعبٌ في المنتخب الوطني لكرة القدم.

ناديتُه متحمساً: «عم عبده، يقول سامي أن لاعبي كرة القدم يدخنون، وأن كل الرجال الحقيقيين يدخنون. طاهر قال له ذلك وهو يصّدق».

ضحك العم عبده من غير توقف! وجلس.

قال ضاحكاً: «إن دخنتُ يطردونني من المنتخب. فالرياضي المحترف لا يدخن. على صديقك طاهر أن يتذكر ذلك دائماً. لقد كان بارعاً في لعبة كرة القدم، لكنه عجز عن الصعود من فريق الناشئين إلى فريق المحترفين. كانت التمارين صعبةً عليه لأن نَفَسَهُ ضعيفٌ بسبب التدخين. فإن كنت مدخناً لا نُريدُك معنا».

غضب سامي من هذا الكلام، وصاح:

«ومن قال أني أودّ أن أكون لاعبَ كرة قدم؟ لربّما عليهم فعلاً التوقف عن التدخين، لكن الرجال الآخرين يدخّنون. رعاةَ البقر يدخنون. طاهر يُدخّن أيضاً».

صار العم عبده جدياً في كلامه، وقال له:

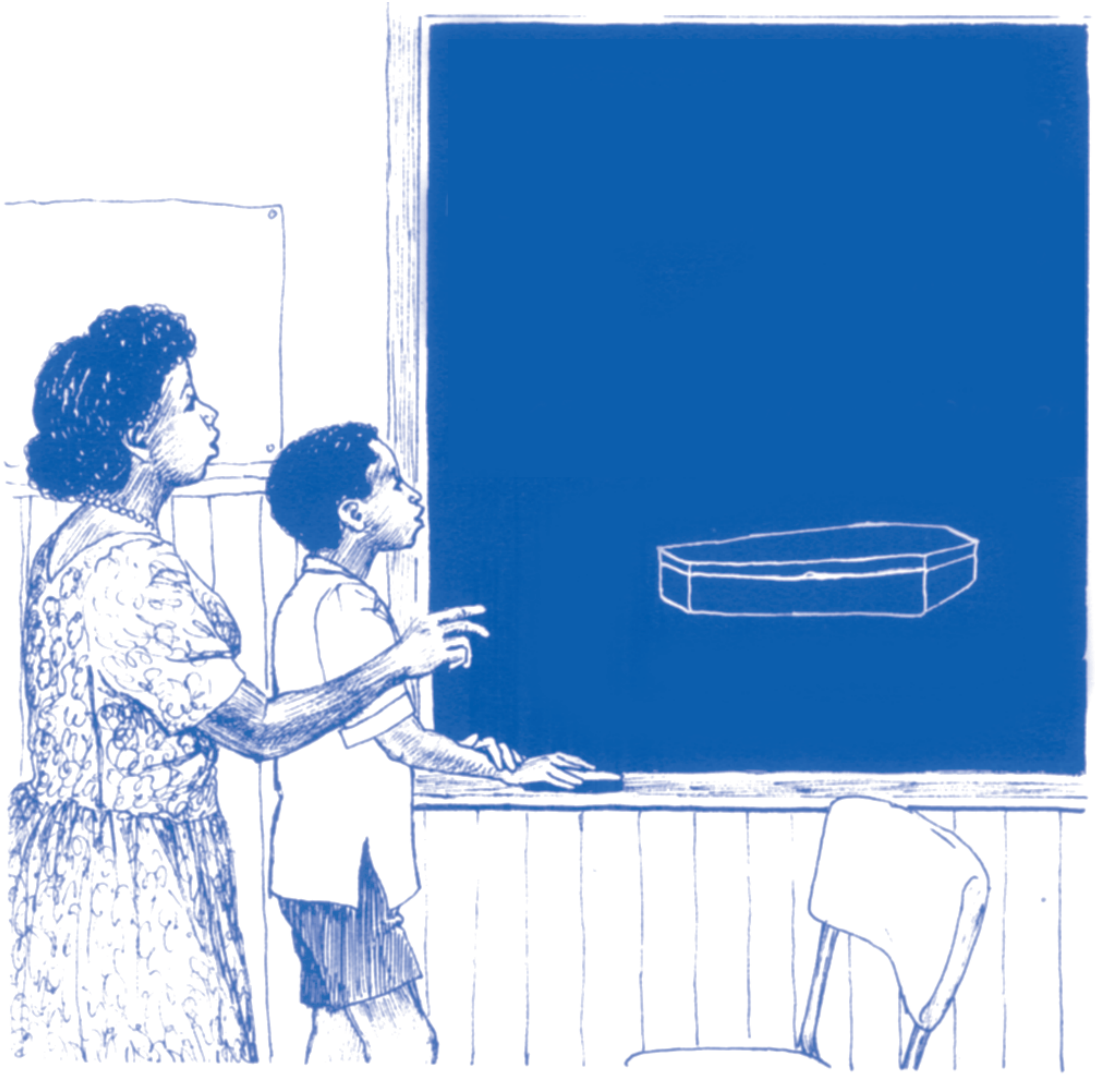
«يا أخي، قد لا أكونُ رجلاً حقيقياً. وقد لا يكون مارادونا أو سعيد عويطة والرياضيون الآخرون رجالاً حقيقيين لأنهم لا يدخنون ... أنت تقول أن رعاة البقر يدخنون، لكنهم ليسوا رجالاً حقيقيين. أنهم ممثلون في الأفلام والإعلانات. رعاة البقر الحقيقيين ماتوا كلهم. وسوف تلحقُ بهم قريباً إنْ دخّنتَ كما يفعل طاهر. في كل مرّة تدخن سيجارة، تُلغي خمس دقائق من حياتك. لا تكن مثل طاهر، وتوقف عن التدخين!».

عندما ذهبت إلى المدرسة في اليوم التالي، قَصدتُ معلمتي.
قلت لها: «آنسة رحمة، ما ضررُ التدخين فعلاً؟ ولماذا يحثُّ العم عبده أخي سامي على التوقف عنه»؟

أجابت: «سوفَ أُخبرك. التدخينُ كريه. عندما تدخن، تصبح رائحة أنفاسك كريهة، وتَستَنْشق مادةً تدعى النيكوتين، هي المادة التي تجعل أصابع المدخنين صفراء». تذكرت حينئذٍ أصابع طاهر.
ثم تابعت: «ومع التدخين تتنشق مادةً أخرى هي القطران، وهي نفسها التي تُستخدم في تَعبيد الطرقات. كل هذه القذارة، كل هذا النيكوتين يدخل إلى رئتيك، ومنهما إلى دمك ليؤذي قلبك. وهو يستقر هناك ولا يرحل أبداً. وكلما دخّنتَ، دخلت الموادُ القذرةُ أكثر إلى جسمك. وفي النهاية، النيكوتين والقطران قادران على إنهاء حياتك. يظن طاهر انه ذكي، لكنه ليس كذلك. وهذا يفعله به التدخين».

وابتدأت معلمتي تعدّ على أصابعها:
«أولاً، سيصابُ بالرشح وبالسعال بسهولة أكبر،
ثانياً، ستصفرّ أسنانه وتنبعث من فمه ومنه رائحة كريهةٌ».
أومأتُ برأسي موافقاً، فما كنت أحبُّ الرائحة المنبعثة من طاهر.

«ثالثاً، المواد القذرة من القطران والنيكوتين تصيبه بمرض يدعى السرطان، وهو مرض قاتل. أخْبر أخاك بما قلتُه لك. انْصحه بأن يتوقّف عن التدخين».



الفصل الثاني

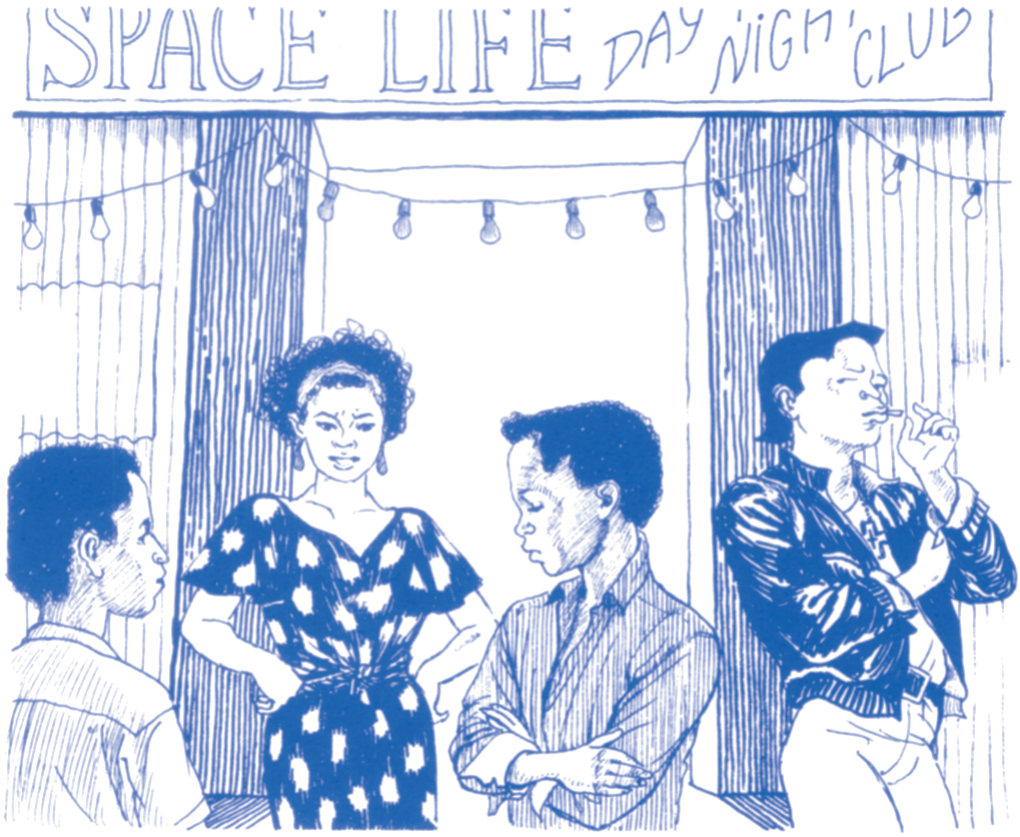
لا أعرف من أين يحصلُ طاهرُ، على ماله. ربما يملك مطبعةً للنقود أيضاً! وربما هناك طبقةٌ من طبقات معمل التبغ حيث يصنعون المال أيضاً!

لكثرة المال الذي في جيبِ طاهر، كسب الكثيرْ من الأصدقاء ... كانوا من النوع الذي يتحلق حول الإنسانِ كثيرِ المال ... أصدقاء مؤقتون، يَبقون بجانبه اليومَ ويتركونه في اليوم التالي ... من النوع المخادع ... وصديقات من الفتيات اللواتي يعملن في الحانات والملاهي الليلية. كان طاهر يمضي كل لياليه في هذه الأماكن، يصل إليها متأخراً، يدخن ويشرب الكحول، ويغادرها متأخراً. أحياناً، يغادر وبصحبته فتاة مختلفة من الفتيات، في كل ليلة. كان يقول لسامي: «أحبّهنّ وأتركْهنّ، هذا هو شعاري. وهذا ما يفعلهُ الرجالُ الحقيقيون».

ذات يوم، كان طاهر واقفاً أمام الحانة مع فتاتين أو ثلاث من العاملاتِ هناك. نادى سامي وكنا نمرّ بالمكان. قال له: «آن الأوان، لتحظى بفتاة يا سامي. سوف أنتقي لك واحدة».

أجابه سامي: «لكن عندي صديقة نذهب معاً إلى السينما!»
قال طاهر: «السينما، ألا يمكنك التفكير في أمرٍ آخر»؟
ضحك، وضحكت الفتياتُ اللواتي معه ضحكة استهزاء.

وكان في هذه الحانة فتاة من قريتنا تدعى جميلة، تزوجت رجلاً عاطلاً عن العمل، لكنه هجرَها وهجرَ طفلها. لم تجد جميلة عملاً في البلدة، ورفض أهلُها مساعدتها. قصدت المدينة بحثاً عن عملٍ ولم تجده. الآن، نراها تعمل في الحانة مع الفتيات الأخريات، لتجمع المال من أجل أن تعيشَ هي وابنها الصغير وتدفعَ أقساطَ مدرسته.
قال لها طاهر: «قولي لسامي إني محقٌ فيما أقول. قولي له أن عليه أن ينضجَ وأن يتمتعَ بأوقاته مع الفتيات، مثلي أنا. قُولي له ما تعرفين».
نظرت جميلة إلى طاهر نظرة باردة. مشت إلى سامي وقالت له: «سأخبرُك بما أعرِفُه... يجبُ أن تبتعد من هنا. أعرفُ أن شباناً كطاهر وفتياتٍ مثلي يغامرون بحياتهم. وأعرفُ أن هناك مرضاً يدعى الإيدز (السيدا) يتسلل إلى أجسام الناس ويختبئ فيها مثل حرامي العَتمة. وأعرف أن هذا المرض يفتح الباب أمام أمراض أخرى لتدخل إلى الجسم.



ويموت الناس، آجلاً أم عاجلاً. يموتون كلهم تقريباً... لقد مات بعض أصدقائي، وبعضهم الآخر ضعيفٌ ومريضٌ جداً. إننا خائفون فعلاً. أحاول أن أحمي نفسي» ... إذا كنتَ ستنصاع لرغبة طاهر فتعال إليّ أقول لكل كيف تكون متنبهاً. لكن ذلك ليس آمناً حقاً. الطريقة الآمنة هي اكتفاء الشاب بفتاة واحدة، واكتفاء الفتاة بشاب واحد، كما كان أجدادنا وآباؤنا. اسمعني، يا سامي. استمعْ إلى ما أقولُه لك ... فتكبرُ سعيداً من غير خوف».

نظرتْ إلى طاهر نظرةً قاسيةً أخرى، واستدارت ثانيةً نحو سامي، وقالت: «كُنْ أنتَ نفسَك ولا تكن مثل طاهر. خُذْ هذا بعضُ المالِ مني ... وليس منه. اصطحب صديقتك إلى السينما». ثم تركتُه جميلة ودخلتْ إلى الحانة.

قلقت مِن مرض الإيْدز (السيدا) الذي ما فهمته أبداً. ما فهمت الذي قالته لنا آمنة، وما أردت أن أسأل المعلمة، قصدتُ جارنا موسى. إنه شاب ذكي جداً، يدرس الطب في الجامعة.
قال لي: «يا يوسف، جميلة على حق في كلامها عن الإيْدز. أنه مرض يُسمّى تناذر نقص المناعة المكتسب»، وسأشرح لك معناه: أنه مُكتسب لأن الإنسان يَكتسبه اكتساباً أي يلتقطه عندما يمارسُ العلاقةَ الجنسيةَ مع إمرأةٍ مصابةٍ بالمرض. ولا يمرضُ هذا الشخصُ فوراً ولذلك لا يعرفُ أنه التقط العدوى. إنْ مارسْتَ الجنسَ مع نساء عديدات، زادَ خطرُ انتقالِ المرض إليك. ولهذا هناك خطرٌ على حياة طاهر وجميلة. ولهذا ترى جميلة خائفةً.

الإنسان لا تلتقطُ العدوى من الهواء، ولا من لمسِ المرضى المصابين بهذا المرض. فهؤلاء قادرون على العيش والعمل مع الآخرين، ولا حاجة للخوف منهم.
ونقصُ المناعة معناها أن يفقدَ الجسمُ قدرتَه على محاربة المرض، فيصبحُ كالجندي من غير سلاح. وعندما يدخل الإيْدز إلى

جسمِك وتهاجمُك الأمراضُ الأخرى، لا يستطيع جسمك المقاومة فتموت سريعاً.

أما لماذا نسميه تناذراً، فلأن الإيْدز لا يخرُج من جسمِك إذا دخلَه، بل يبقى فيه. وعاجلاً أم آجلاً يصيبُك مرضٌ يقتلك. فلا علاج لهذا التناذر.

انصَح سامي أن يعمل بنصيحة جميلة. يجب ألا يقلّد طاهر في أفعالِه فقد يصاب طاهرُ، بتناذر نقص المناعة المكتسب فيموت.»

الفصل الثالث

تحت هذه الثيابِ الفاخرة، يبدو لي طاهر سيئاً جداً. اعتقد أنه يشبه التفاحة البراقة التي في داخلها دودة. لكنّ سامي يخالفني الرأي. فهو لا يزال معجباً به، يتبعُه أينما ذهب. أحياناً، يلتفت طاهر إلى سامي، يحادثه، ويشتري له الأشياء، وأحياناً أخرى يَنقدُه مالاً. فجيوب طاهر لا تفرغُ من المال.

يدعو طاهر أصدقاءه دائماً لتناول الشراب والتدخين على حسابه، كما يشتري المشروبات لفتيات الحانة.

يشتري البيرة لسامي ويقول له : « لتتناول شراباً». ويصرخ للنادل : «قدّم لصديقي سامي شراباً». يشرب سامي البيرة برغم أنه يفضّل المياه الغازية، إلا انه لا يجرؤ على إخبار طاهر بذلك.

فقد أخبره أن الرجال الحقيقيين يشربون الكحول دائماً، وبهذه الطريقة يمتّعون أنفسهم. فهو يقول: «لقد تمتّعنا كثيراً في الليلة الماضية، لقد سكرنا كثيراً».

أعرف شابين يتناول طاهر المشروبات معهما، يكبرانه. لا أعتقد أنهما يحبانه بل يحبّان أن يغدق عليهما من ماله.

وأعرف أنهما تورطا في المتاعب. فأحدهما قاد سيارة وهو ثملٌ، فصدم طفلاً. ضربه اهل الحي، ونُقل إلى المستشفى قبل أن يدخل السجن.

أما الآخر، فحصل على عملٍ جيدٍ في متجرٍ لبيع أجهزة الراديو. في البداية، كان حسنَ السيرة، ثم بدأ يشربَ الكحول مع طاهر، وصار يصل إلى عمله متأخراً كل يوم. فهو لا يستطيع الاستيقاظ باكراً، وأخذ رأسُه يؤلمه. غضب منه صاحب المتجر. ذات يوم، كان رأسه يؤلمه ألماً شديداً. وحين أنبَّه مديرُه، أوقَعَ آلةَ تسجيل كبيرة على أصابع قدم المدير، فانكسرت. غضب المدير وطرد الشاب من العمل.

ذات يوم، كنت ماراً بقرب الحانة بعد الظهر. كان اليوم يوم عطلة، فذهب الرجال إلى هناك باكراً. سمعتُ صراخاً وأصواتَ انكسارِ الكؤوس والزجاجات. فجأةً، انفتح البابُ وسقط طاهر خارجه، مقذوفاً كالكرة، كإحدى الكرات التي يركلها العم عبده حين يحقق الأهداف.

خرج وراءه رجلٌ طويلٌ. وقف فوقه صائحاً: «إياك أن تفعل ذلك ثانيةً» ثم عاد إلى داخل الحانة.

حاول طاهر الوقوفَ لكنه سقط على الأرض ثانيةً. زحف إلى شجرةٍ قريبةٍ واستند إليها ليقف. ثم بدأ يغني تحتَ الشجرة إذ كان ثَملاً للغاية. وصل صبيّان فوقفا بجانبه يَسخران منه. وجلس كلبٌ قرب الشجرة قليلاً وهو يحدّق فيه. هرعتُ إلى البيت وناديتُ سامي.



قلت له: « ها هو صديقُك. لا يبدو لي الآن رجلاً حقيقياً. لقد تقيّأ على ثيابِه، وسخر منه الأطفال. حتى الكلب شعرَ بالأسف لأجله».
خرج الرجلُ الضخم ثانيةً وصاح : « لقد أهانني هذا الولد. أراقَ شرابي وأهانني. أعرفُه جيداً. إنه تافه». ثم استدار إلى سامي وقال: « لقد رأيتُك تشرب هنا. أنت صغيرٌ بعدُ على الشراب، وأنت أحمقٌ ولا تعرف أنه عليك الابتعاد من هذا التافه».
وأشار بسبابتِه إلى طاهر الذي ما يزال يغني للشجرة. ثم نظر نظرةً قاسيةً إلى سامي، وتابع الكلام: «أعرفُ أباك. سوف أخبره عن هذا الأخرق القذر، لكني لن أقول له أني رأيتُك هنا. فاذهب يا ولدي. أذهب من هنا سريعاً! فالصبية، أمثالك، الذين يشربون الكحول يتعرضون دائماً للمتاعب. من يشرب كثيراً يستحق أن يهزأ الناس به. الرجال الحقيقيون، لا يثملون فلا تكن مثل طاهر. هيا، اذهب إلى البيت».

في المساء، طلبنا والدي وقال لنا:
«عرفتُ ما حصل لطاهر. وعرفتُ أنه يُكثر الشراب. إني مسرورٌ جداً لأنكما لم تكونا هناك».

نظرتُ إلى سامي، فأشاحَ بنظره إلى خارج النافذة.

قال أبي: «الخطرُ يهدد كلَّ من يكثر من شرب الكحول. والشراب خطرٌ على الآخرين.» واستدار نحوي ليسألني: «ماذا يحصل عندما يثمل الإنسان؟».

أجبته: «لا يستطيع المشي طبيعياً».

فقال: «وماذا أيضاً؟»

قلت: «لا يستطيع الكلام طبيعياً».

«وماذا أيضاً؟»

«يتقيأ، تماماً كما حصل لطاهر».

«صحيح. والكحول الكثير تضعف الدماغ وتؤذي الجسم. فيعتاد هذا الجسم على الكحول فلا يستطيع الإنسان حينئذٍ أن يتوقف عن تناوله. ومن يشربْ كثيراً يتعرّض للحوادث وينتهي به الأمر إلى قتل نفسه».

هذا ما قاله أبي.

الفصل الرابع

لقد عرفتُ الآن كيف يحصل طاهر على ماله.
كنت أعبرُ موقفَ السيارات عندما رأيته يحادثُ سائقَ شاحنة أعطاه شيئاً ما. وضعهُ طاهرٌ تحت قميصه وابتعد مُسرعاً، يتلفت إلى الخلف بين الحين والآخر. تبعتُه سريعاً من بعيد ... مشى طاهرٌ حتى وصل إلى زقاقٍ خلفَ ملعب كرة القدم. وقف هناك وتلفّت حوله، ثم إتكأ إلى شجرةٍ وانتظر. انتظرتُ أنا أيضاً ... كما ينتظر مالكٌ الحزين بين القصب ... لتظهر له سمكة فيلتهمها.
ووصلت "السمكة" في سيارةٍ سوداء حديثة، فيها سائقٌ ومرافقٌ يرتدي نظارات شمسية. كنتُ أعرفُ هذا الرجل وأخشاه.



كان الكلُّ يعرفُ "أدهم الكبير". فهو ثريٌّ جداً، يملك السيارات الكبيرة ويعيش في منزلٍ واسعَ الأرجاء خارج البلدة، حولهُ سورٌ سُيّج أعلاه بالزجاج المكسّر. وخلفَ السور كلابٌ شرسةٌ تنبح وتعضّ. كلُّ ذلك لأن أدهم الكبير لا يحب الزوار.

لا أحد يعرف كيف يحصل هذا الرجل على ماله. يقول البعض أن اللصوصَ يبيعونه الأشياءَ التي يسرقونها، أما والدي فيقول عنه ما هو أفظع، إذ يعتقد أنه تاجر مخدرات. ولأدهم الكبير شركاءٌ يعملون له، ينشرون المخدرات مجاناً بين الشبان، حتى الصغار منهم مثل سامي، وأترابِه. يشم هؤلاء الشبان المخدرات أو يدخنونها. في بداية الأمر يشعرون بالسعادة. لكن هذه السعادة لا تدوم. وبعد وقت قصير، لا يقدرون على التوقف عن استعمال المخدرات. فهذه تؤذيهم وتسبّبُ لهم المرض، لكنهم يمرضون أكثر إنْ لم يتناولوها. عندئذٍ، يطلب رجال أدهم الكبير منهم دفع المال ليحصلوا على المزيد منها. فيسعى الشبان إلى الحصول على المال بأي وسيلة، حتى السرقة. فيشتري منهم أدهم الكبير ما يسرقون ويعطيهم بدلَ المال مخدرات.

هذا ما يقولهُ الناس. وقد لا يكون ذلك صحيحاً.

قد يكون أدهم الكبير هذا معلماً،

أو فناناً،

أو طبيبَ أسنان.

لكني لا أظنُّ ذلك. أعتقد أن والدي على حق.
لم أخبرْكم بعد بما يفعله أبي. إنه شرطيّ.

لقد أخبرتُكم إذاً عن أدهم الكبير وطاهر. «لقد رأيت طاهراً يسلّم أدهم طرداً. وأعتقد أن أدهم أعطاه مالاً».

استمع والدي إليّ جيداً. وبعد حين، حضرَ رجلٌ يرتدي قميصاً أخضر إلى منزلنا وسألني أسئلة أخرى. ثم قال لوالدي: «قد نتمكن هذه المرّة من القبض عليه. وقد يساعدنا ابنُك في ذلك». وافق أبي: «نعم. يستطيع يوسف المساعدة. لكن يجب ألّا يفعل شيئاً ...يكتفي بالمراقبة. يمكنه أن يكون عيوننا وأن يخبرنا بما يرى».

وهكذا راقبتُ طاهراً. في اليومين التاليين، لم يقترب طاهر من موقف السيارات. كنتُ أعرف كلّ ما يقوم به إذ تبعتُه كظلّه، وكنت قريباً منه قربَ السلسلة التي تطوّق عنقه. أمضى هذين اليومين يكلّمُ الناسَ ويعطيهم لفافات التبغ ويشتري لهم الهدايا. "لا بد أن معمل النقود أنتج كثيراً!"

في اليوم الثالث، رأيتُه متوجهاً نحو موقف السيارات، فأخبرتُ والدي.

قال لي: «عليك البقاء في المنزل. لا تَتْبع طاهراً واتْرك الأمر لنا». لكني ما استطعت البقاء في المنزل. لم أذهب إلى الموقف، بل توجهتُ إلى ذاك الزقاق الخالي خلفَ ملعب كرة القدم، وتسلّقتُ شجرةً كبيرةً. لا بدّ أن الرجل ذاك سيعود ثانيةً، وقد أرى الشرطة تقبض عليه. وهذا ما حصل تماماً. أتى طاهر. ووصلت السيارةُ الكبيرة. سلّم طاهر الطرد لأدهم الكبير.

بدأت السيارة تبتعد، وبدأ طاهر بالسير في الاتجاه الآخر.

وفجأة، سدّت سيارتا الشرطة مدخلي الزقاق. رأيتُ شرطياً يمسك بطاهر بينما وقف الرجلُ بالقميص الأخضر يتحدث إلى أدهم الكبير بلباقة وأدب.

قال الرجل ذو القميص الأخضر: «هل تعرف هذا الشاب؟».

أجاب أدهم الكبير: «لم أرَهُ من قبل. قيل لي أن معه طرداً يخصّني. لا أعرفُ ما فيه. إني لا أثقُ بهذا الشاب، وكنت سآخذ الطرد إلى مقرِّ الشرطة».

نظر طاهر إلى أدهم الكبير، وأخذ يصرخ: «أنت تعرفني جيداً.

أنت تعطيني مالاً كل أسبوع... إنت تعرف جيداً أن هناك مخدرات في الطرد ... وأنت تطلب مني بيعها». ابتسم الرجل بالقميص الأخضر ابتسامة عريضةً، ونادى شرطيين، فوقف الأولُ عن يمين أدهم والآخر عن يسارِه، وأمسكا به جيداً.

نظر أدهم إلى طاهر نظرة الأفعى حين تتحضر للأنقاض على فأر. لم يقلْ شيئاً لكن بقي يحدّق فيه.



حصل أمرٌ غريبٌ لطاهر. فقد بدت ثيابه واسعةً عليه، وفقد حذاءُه بريقه، وأمسى لونه رمادياً. بدأ يتصبّب عرقاً.

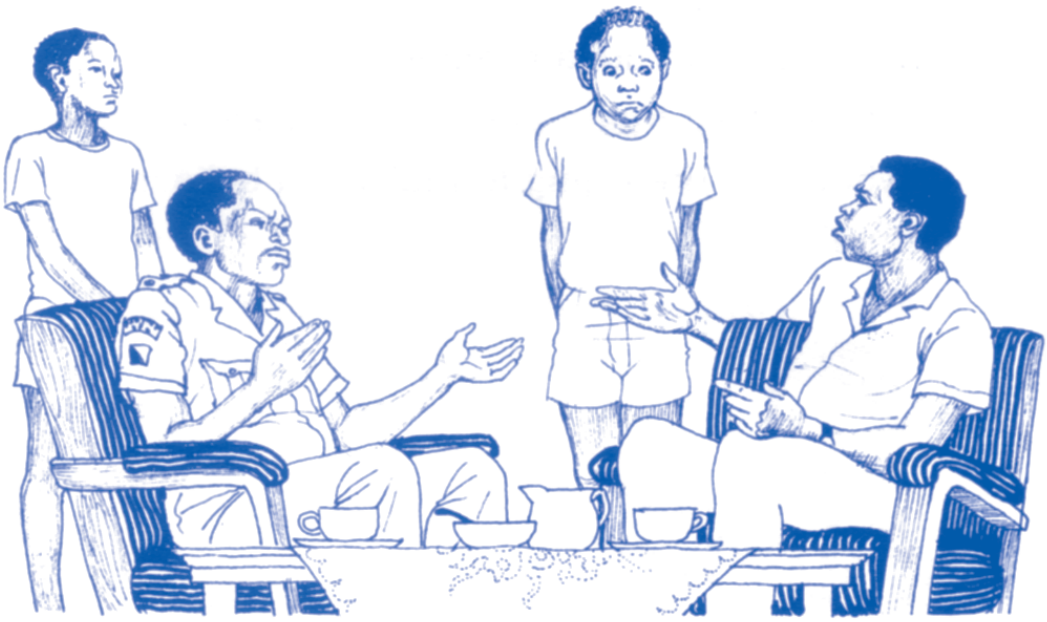
استدار الرجل ذو القميص الأخضر نحو أحد الشرطيين، ثم نظرا إلى طاهر. للحظة، بدا عليهما الأسف لأجله. وبعد ذلك اصطحباه بعيداً إلى سيارتهما.

فيما بعد، زارنا الرجلُ ذو القميص الأخضر. قال لي: «لقد قبضنا عليهما يا يوسف». فأجبته مدعياً أنني لم أعرف بالأمر: «هل فعلتم؟ ما عرفتُ ذلك».

«لقد كانا يحملان المخدرات»، قال. «كان طاهر يبيع الحشيش للناس فيدخنونه. إنه أضرّ بالصحّة من التبغ. وكلما دخنتَ منه طلبتَ المزيد». وأضاف: «ولأنه ضارٌّ، يمنع القانون الاتجار به. سوف يدخل طاهر السجن».

سألته: «وماذا عن أدهم الكبير؟»

بدا الرجل ذو القميص الأخضر غاضباً. وقال: «نعتقد أن أدهمَ هذا يبيع كلَّ أنواع المخدّرات، كالكوكايين والهيروين. أنها مخدرات قويّة تُضعف الناس.



حين يتناول الناس هذه المخدرات تسوءُ حياتهم، بينما يزداد آخرون ثراءً... آخرون مثل أدهم الكبير هذا».

لفظ اسم «أدهم الكبير» وكأن رصاصاً ينطلق من سلاح ناريّ.

وأضاف: «أعرف أدهم الكبير قبل أن يصبح ثرياً. أعرفُه منذ كان صبياً مثل طاهر».

نادى والدي سامي، فأتى. لم يبدو لي رجلاً حقيقياً، بل بدا صبياً ... مذعوراً.

قال له والدي: «صديقُك طاهر سيدخل السجن».

فأجاب سامي: «ما أحببتُه يوماً».

النشاط الأول

أ- انظر إلى الإعلانين في هذه الصفحة. ما الذي يحاولان يجعلاك تصدق؟

ما الخطأ في ما يحاولان أن يجعلاك تصدق؟



الصورة الأولى

«الأغنياء يدفعون أكثر قليلاً ليحصلوا على البيرة الأفضل».



الصورة الثانية

«تعال إلى حيث المغامرة.
دَخِّن سجائر "بلوسيلك"»

ب- انظر في بلدتك أو مدينتك إلى إعلانات التبغ والكحول. أكبتها في لائحة، وتعلّم عن الأفكار التي تحاول هذه الإعلانات أن تقنعك بها.

النشاط الثاني

أ- إروِ الحكاية ثانيةً من وجهات نظر مختلفة

... لو كنتَ طاهر

... لو كنت سامي

... لو كنت والد يوسف

ب- لو كان طاهر يدخن ٣٠ سيجارة يومياً، فكم يكلفه ذلك؟

ج- لو كان يشرب أربع زجاجات بيرة. فكم سيكلفه ذلك؟

د- كم يكلفه التدخين والشراب أسبوعيا؟

ه- ما كنت ستفعل بمبلغٍ مساوٍ من المال؟

و- إن الحكاية لا تقدم وصفاً ليوسف - الصبي الذي يبلغ ١١ عاماً. حاول أن تصف يوسف

انطلاقاً من أفعاله. أي نوع من الصبية هو؟

ز- ارسم صورةً لطاهر وأصدقائه خارج الحانة.

ح- ارسم صورةً تمثل الشرطة تلقي القبض على طاهر وأدهم الكبير.

النشاط الثالث

مهمٌ أن تتبادل وأصدقاءك الأفكار حول هذه المسائل. هذه لائحةٌ بأشياء يمكن فعلها:

أ- يلعب طفلٌ أو طفلةٌ دور وزير الصحة فيعلن سياسة وزارته حيال:

١- التدخين،

٢- الإيدز (السيدا)،

٣- تناول الكحول،

٤- المخدرات.

ويكون الأطفال الآخرون أعضاء المجلس الوطني (البرلمان) ويعلنون موافقتهم على هذه أو معارضتهم إياها، ويبررون الموافقة أو المعارضة.

ب- نظّموا حوارات متعددة حول المواضيع التالية:

١- للتدخين منافعٌ تفوق أخطاره،

٢- يجب عدم تقديم الإرشادات عن الإيدز في المرحلة الابتدائية،

٣- الطريقة الوحيدة لتجنب الإفراط في شرب الكحول هي عدم تناول الكحول بتاتاً.

ج- ناقش وأصدقاءك ما يمكن أن تفعلوه، انتم الأطفال، لمنع الآخرين من التعلّق بهذه العادات السيئة.

تذكروا

- التدخين مكلفٌ. يضرّ بصحتك. ما أن تبدأ حتى يصعب عليك التوقف. لا تبدأ بالتدخين.
- تناول الكحول غير صحيّ للشبان. الإفراط في تناول الكحول ضار بصحة الجميع. تناول الكحول أثناء قيادة السيارة يمكن أن يحوّل السائقين إلى قتلة.
- لا تجرّبوا المخدرات، حتى ولو مرّة واحدة. إذا قدّم إليك أحدهم مخدراً ... ارْفُضوه!
- الأيدز يقتل. لا علاجَ له. لا تمارس الجنس مع شركاء متعددين.
- الشبان الذين يدخنون ويشربون الكحول ويتعاطون المخدرات ويمارسون الجنس مع شركاء متعددين ليسوا رجالاً. إنهم أغبياء!